الدراســـات المونوغرافـيــة لمؤسسات العمل الثقافي والتربوي بالوسط اللانظامي

Monographic studies For institutions of cultural and educational action in the non-formal environment

د. محمد الحبيب الخضراوي، المعهد العالي للتنشيط الشبابي والثقافي، جامعة تونس- تونس

ملخص: إن الدراسات المونوغرافية هي منهج وتقنيات يمكن لمؤسسة الفعل الثقافي والتربوي أن تستفيد منها لتؤكد قيمة الأثر الذي تؤديه اجتماعيا وثقافيا وتربويا. وقد بحثنا في هذا المقال قدرتها على التشخيص متعدد المداخل المنهجية واستعمالها لأدوات مختلفة لجمع البيانات وتصوير الممارسة في أدق خصائصها بهدف الاستفادة منها بحثا وتصرفا وإدارة في الآني والمتوسط والاستراتيجي. وقد قدمنا في هذا المقال مثالا لكيفية استثمار الدراسات المونوغرافية في التراث الثقافي (الحكاية الشعبية) ومثالا آخر تحليلي وكمي للتعاطي مع مؤسسة الفعل الثقافي والتربوي في الوسط اللانظامي.

Abstract:Monographic studies are methods and techniques that the non-formal cultural and educational institution can benefit from to confirm the value of the impact it has on the social, cultural, and educational levels. By applying them it will have the advantage of increasing her diagnostic capacity, using tools to collect data, and transmitting the practice in the most precise details. The objective of the process will be the development, in line with the institution's profile, of a register of practices for research, management and administration purposes in immediate, medium, and strategic terms. In this article, we have explained the way in which monographic studies are invested in cultural heritage (the folk tale) and I included in the end an example of a survey to the profile of the institution of cultural and educational action.

Keywords: monographic studies, cultural action, institution, folk tale, corpus.

1- مقدمة:

كثيرة هي المساءلات العملية التي تطرح على مؤسسات التنشئة الاجتماعية بالوسط اللانظامي، وتصبح هذه التساؤلات ذات أهمية بالغة حينما يتعلق الأمر بالشك في ضرورتها الاجتماعية والحاجة اليها من قبل فئات اجتماعية معينة. كما أن تداعيات هذا الشك تنعكس على وجودها الكامل واشتغالها واستمراريتها في الزمان والمكان وما يترتب على ذلك من تأثير مباشر على الموارد اللوجستية والبشرية والمالية التي تتوفر عليها.

ويعتبر هذا الشك دلالة على حيرة اجتماعية تنتاب المجتمع للبحث حول الهوية المهنية لهذه المؤسسات وقدرتها على الفعل والتأثير على الواقع بكل أبعاده سواء منه المحيط المادي أو البشري والرمزي. والملاحظ أن هذه الحيرة والشك في الدور والوظيفة والفاعلية والحاجة الاجتماعية تتغير وتيرتها ارتفاعا وانخفاضا مع تواتر الأزمات الاجتماعية والتحولات المصاحبة لها. وتنشط هذه الحيرة أيضا مع توفر إطار حر في التواصل والإعلام فكلما وجدت الحرية في الاعلام والاتصال كلما ارتفع منسوب المساءلة من مختلف الأطراف القريبة والبعيدة ذات العلاقة وقد تتخذ في بعض الأحيان شأنا كحدث اجتماعي خاصة عند اثارتها من قبل فاعلين اجتماعين أو ثقافيين أو حتى سياسيين ليتعقد بذلك المشهد العام المكون لهذه المؤسسات وتتسع رقعة رهاناته ويعزز من ثمة قيمته التواصلية والرمزية.

ويعتبر التراث الثقافي من بين أهم مواد العمل الثقافي بالمؤسسات والجمعيات الثقافية والمؤسسات المهتمة بالشباب والطفولة على السواء ويتضمن مواد يتم الاشتغال بها وعرضها كما يتضمن مواد مستنبطة من التراث الثقافي ولها انعكاسات على ممارسات أخرى ثقافية كالمسرح والسينما والموسيقى والشعر والأدب وغيرها من الفنون، وعليه يمكن اعتبار التراث الثقافي، من خلال ما تقوم به هذه المؤسسات والجمعيات من أدوار الوساطة الثقافية والتربوية، مصدرا ومرجعا في الممارسة الثقافية تعزز آليات التنشئة الاجتماعية لدى الأفراد وتمتن بالتالي الروابط مع المجتمع وتعزز من ضرورتها الاجتماعية أو الحاجة الاجتماعية اليها.

ومن المعلوم أن الإدارة الحديثة للجمعيات وللمؤسسات الخاصة والإدارية منها تتوفر على آليات مهنية في تقييم الأداء ومراقبة المال والاعمال والموارد وإنجاز التدقيق الوظيفي بأبعاده الإدارية والمالية وغيرها. وهي أليات استفادت كثيرا من الدراسات المونوغرافية في المنهج البحثي. الا أن هذه الآليات المفترضة والمعلومة هي بحاجة ماسة الى أن يعاضدها جهد علمي وبحثي موضوعي مناسب للموقع الثقافي والتربوي الذي تحتله هذه المؤسسات والجمعيات يختلف عما تقوم به الإدارة من حيث الأهداف والنتائج المرجوة منها والاستفادة منها. فماهي خصوصية الدراسات المونوغرافية؟ وكيف يمكن تطبيقها على المواد الثقافية؟ وكيف يمكن لمؤسسات التنشئة الاجتماعية بالوسط اللانظامي(المؤسسات الثقافية، الجمعيات الثقافية، المؤسسات الشبابية، مؤسسات الطفولة.....) أن تستفيد من الدراسات المونوغرافية لتشخيص واقع حالها وتطوير آدائها؟

سنعمل في هذا المقال على عرض مقولات منهجية ومقارنة لخصوصيات الدراسات المونوغرافية أولا، ثم نقدم نموذجا لتطبيقها في دراسة التراث الثقافي من خلال اعتماد المدونة

ثانيا وسنعمل أخيرا على بيان كيفية استثمار هذا النوع من الدراسات لتصوير الممارسة وتحليلها بمؤسسات التنشئة بالوسط اللانظامي؟

2- الدراسات المونوغرافية في إطار رؤية منهجية

يمكن في بداية هذه الدراسة الإنطلاق من مقولتين أساسيتين يمكن اعتبارهما فرضيتين محوريتين تؤطران التمشي المنهجي الذي سنعتمده في هذا البحث وتسمحان بمعالجته من زاوية هذه المقاربة المونوغرافية:

الفرضية الأولى: إن مؤسسات العمل الثقافي والتربوي بالوسط اللانظامي تحتضن تفاعلات وتبادلات اتصالية بين مختلف الأطراف الفاعلة ويحتل فيها فئتي الشباب والأطفال طرفا محوريا تتوجه إليهما أهداف هذه لمؤسسات وممارستهما من أجل المساهمة في تنشئتهما اجتماعيا وثقافيا وقيميا.

الفرضية الثانية: إن مؤسسات العمل الثقافي والتربوي بالوسط اللانظامي تحتل موقعا متجذرا في محيطها المحلي وتقوم بأدوار فاعلة من أجل تأكيد استمرار شرعية ممارساتها وتدخلاتها المختلفة داخل المؤسسات وخارجها.

إننا نتبين أهمية هذين المدخلين لأن اعتماد مقاربة الدراسة المونوغرافية لمؤسسات العمل الثقافي والتربوي بالوسط غير النظامي يسعى الى أن يحول الممارسة والدور الى مادة معرفية قابلة للمفهمة والقراءة العلمية والإعتماد الأكاديمي والوقوف على قيمتها كممارسة اجتماعية وكمؤسسات فاعلة على المستوى الثقافي والتربوي والإجتماعي تضاهي في قيمتها المؤسسة التعليمية.

ويعتبر هذا التحويل من الممارسة الى المعرفة والعلم تحد هام يجب أن ينشط فيه ومن أجله الفاعلون في مجالات الثقافة والشباب والطفولة والتدخل الاجتماعي (الخضراوي محمد الحبيب 2016)[1] حتى يحقق هذا الجهد على الاقل هدفان:

الهدف الأول استثمار نجاعة التجربة والممارسة التي تطورت تاريخيا في الميدان على المستوى العملي،

الهدف الثاني تطوير التجربة المتراكمة في حد ذاتها والتحرر منها حتي لا تكبل التجربة والممارسة في مستوى معين قدرة الفاعلين في الميدان على الخلق والتجديد والإبداع.

[1] مؤسسات التكوين الأساسي بالمؤسسات الجامعية المختصة مثل المعهد العالي للتنشيط الشبابي والثقافي ببئر الباي والمعهد العالي لإطارات الطفولة بدرمش وقسم التدخل الاجتماعي بمعهد الشغل بتونس كأمثلة على ذلك، لا يمكن أن تكون غير معنية أيضا بهذا التحدي، بل يجب أن تكون في طليعة الفاعلين وخاصة في البحث العلمي في المجال الاجتماعي والثقافي ودراسات التراث الثقافي للأنشطة والمشاريع والمؤسسات المشتغلة في هذا الحقل.

إن هذه المقاربة التي نحن بصدد عرضها تتناول مؤسسات العمل الثقافي والتربوي بالوسط غير النظامي بمختلف أصنافها (المؤسسات الثقافية، الجمعيات الثقافية، المؤسسات الشبابية، مؤسسات الطفولة.....) كوحدة اجتماعية إما منفردة أو مجتمعة في إطار حيز جغرافي محدد ومجموعة بشرية مضبوطة، من زاويتي نظر أساسيتين لا بد لأي فاعل ثقافي وتربوي أن يتعامل معهما بشكل متوازن وجدي، كما لا يمكن للفعل الثقافي والتربوي أن يتغافل عنهما لان تأثيرهما واضح في كل وضعية تمر بها المؤسسة.

وتتمثل زاويتي النظر هاتين في:

-المنظور الكلي والشمولي للمؤسسة
-المنظور التحليلي الداخلي

وسنعود الى هذين المنظورين وطرح الإشكاليات المركزية التي يثيرها كل منظور بعد عرض الجانب المفاهيمي والإصطلاحي للحقل المعرفي ومجال الاشتغال بالدراسات المونوغرافية لمؤسسات العمل الثقافي والتربوي بالوسط اللانظامي.

3- التدقيق في المؤسسات الإدارية وأوجه العلاقة مع الدراسات المونوغرافية

التدقيق الاداري Audit هو من بين أهم آليات العمل التي اعتمدتها الإدارة الحديثة في منظومتها التقييمية والرقابية. ولما تم الفصل شيئا فشيئا بين التدقيق والرقابة[2] أصبح التدقيق وخاصة الداخلي منه يتجه أكثر نحو التشابه مع الدراسات المونوغرافية ويستفيد منها في المنهج وفي المضمون أيضا وهو ما جعل بعض المؤسسات الكبرى تؤسس بشكل دائم لعمليات التدقيق وتخصه بفريق قار وموارد محترمة نظرا لعائداته المربحة على المؤسسة التي تحترم المال العام كما تحترم المستفيدين من خدماتها والمهام التي بعثت من أجلها في إطار العقد الاجتماعي والقانوني الذي يجمع بينها وبين مختلف الأطراف ذات الصلة.

ومن هنا بدأت النظرة للتدقيق تتغير شيئا فشيئا رغم كثير من المقاومة التي تعترضها من المسؤولين ومن الفاعلين داخل المؤسسة خوفا من المحاسبة والمراقبة والتقييم، لكن الأثر الإيجابي للتدقيق في جوانب كبيرة منه أثر على صورة المؤسسة واعتمادها في السوق المحلية والعالمية وانعكس ايجابيا على الفاعلين بداخلها والمتعاملين معها. ذلك أن التدقيق هو تحليل يجريه خبير أو أكثر، بعين محايدة ومستقلة قدر الامكان، حول جانب محدد من المؤسسة سيقوم من خلاله المدقق بتقييم عناصر محددة والتحقيق فيها، والتحقق منها. وإذا ما تجاوزنا بعض الوظائف المتعلقة بالتحقيق الإداري فإنه توجد عديد الوظائف المشتركة مع البحث المونوغرافي

[2] مع تطور عمليات التدقيق الداخلية للحسابات الخاصة بالمؤسسات ومع تطور وظائف الشركات الكبرى الى وظائف ثقافية واجتماعية ومجتمعية وبيئية فقد رأت هذه المؤسسات أن من مصلحتها إبداء رأي بشأن معلومات أخرى غير المعلومات المحاسبية والمالية وبذلك أصبحت كل وظيفة للشركة وكل نوع من العمليات وعند هذا الحد تصبح كل معلومة لها علاقة باشتغال المؤسسة من قريب أو بعيد بالتالي هدفا محتملا للتدقيق.

الذي يتوجه للمؤسسة من خلال باحث خبير يتميز بعين ملاحظة محايدة وموضوعية تتناول بالتشخيص المدقق لاشتغال المؤسسة في كافة جوانبها ونقل وتصوير حيثيات هذا الاشتغال ومنظومته وتفاصيله بهدف قراءتها وفهمها وتحليلها ومفهمتها واستخراج العلاقات والروابط الكامنة فيها.

ويتوافق هذا الرأي مع ما ذهب اليه بعض الخبراء في التدقيق داخل المؤسسات العمومية بالقول:" وقد عُرّف التدقيق الداخلي بأنه تقدير منهجي وموضوعي من جانب مراجعي الحسابات الداخليين لأنشطة المؤسسة وضوابطها المختلفة لتحديد: دقة ووثوقية البيانات المالية والتشغيلية، مخاطر تشغيل المؤسسة وتقليلها إلى أدنى حد، احترام التراتيب الخارجية والسياسات والإجراءات الداخلية، الوفاء لمعايير التشغيل المرضية، استخدام الموارد بكفاءة وبصورة اقتصادية، وتحقق أهداف المؤسسة بفعالية".(Christian De Visscher et Laurent Petit , 2002)

وقد انتهى هؤلاء الخبراء الى عرض رسم مصور لمختلف أوجه أنشطة التدقيق والتي تتوزع على ثلاثة محاور أساسية وهي:

-وصف ونقل وتصوير ما هو كائن من الأعمال والأنشطة

-تقدير ما يستوجب فعله آنيا مقارنة بما تم رصده

-تقدير ما يجب القيام به مستقبلا للتصحيح والتصويب والتطوير

ويلخص الرسم التالي مختلف هذه الوظائف للتدقيق الداخلي للمؤسسة العمومية[3]:

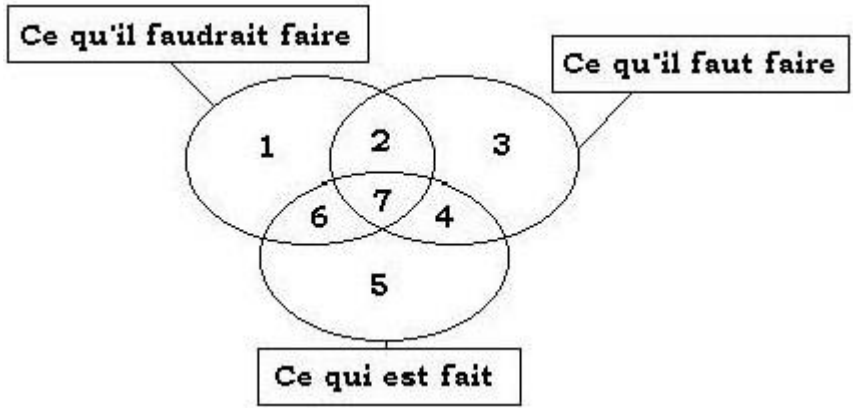

[3] المرجع السابق. ص-ص 73-100.

الموقع الذي تحتله النقطة السابعة هي التي تمثل جوهر الوظائف الجامعة لعملية التدقيق بالمؤسسات حيث تشتمل على المحاور الثلاثة المذكورة سابقا. أما النقطة السادسة فتشير الى الوظائف التي تتجه نحو الاستشارة التي تقدم خدماتها للإدارة والمؤسسة ومنها نشأت خدمات مكاتب الاستشارات للمؤسسات سواء كانت هذه الاستشارات شاملة أو متخصصة كالقانونية منها. وتشير المساحة المشتركة بين ما هو كائن وما يستوجب فعله آنيا والتي تعبر عنه النقطة رقم أربعة، بالوظيفة الرقابية التي تختص بها الأنشطة الإدارية عادة.

أما البحوث المونوغرافية فهي بحوث في العلوم الإجتماعية تتأطر ضمن الحقل المعرفي الخاص بمجال الأنتروبولوجيا لكن مصطلح " مونوغرافيا Monographie " في تكوينه اللفظي يعني مجالين إثنين:

-الشيء الواحد Mono

-التعبير أو التشكيل الخطي Graphie

1- **دراسة المجال الواحد**: Mono: في المعنى الإصطلاحي فإن هذا التخصص المعرفي يهتم بالمجالات التي تشكل وحدة متكاملة ويستمد هذا التوجه من المقاربة الأنتروبولوجية التي تدرس الواقع أو الظاهرة أو الوحدة الإجتماعية بشكل شمولي Holiste حيث تسعى لتناول الظاهرة في كليتها ويضبط الباحث فيها بتحليل كيفي وشامل Exhaustive للوحدات الإجتماعية قيد الدرس وهذه إحدى أوجه المعنى الذي يسند لمصطلح مونوغرافيا.

كما يستعمل هذا المصطلح في علوم المكتبات والتوثيق والأرشيف للدلالة على المنتوجات ذات الإصدار الوحيد مثل الكتب في مقابل المنتوجات الأخرى التي تصدر في أكثر من مرة وهي الدوريات. ولا يعني الإصدار الوحيد إلا الطبعة الواحدة والمتفردة مهما كانت عدد النسخ التي طبعت فيها. وأوجه العلاقة بين المصطلح الأول في العلوم الاجتماعية والمصطلح الثاني في علوم المكتبات والتوثيق والأرشيف هو ذلك الشيء الواحد ذي الإصدار المتفرد سواء كان كتابا أو ظاهرة أو واقعة أو مؤسسة أو مادة تقافية وتراثية ما.

2- **التعبير والرسم** أو التعبير الشكلي: Graphie: أو التصوير وأخذ صور للواقع، وهو منهج في تسجيل المعلومات والتقاطها بهدف التحقق منها بتصنيفها وتبويبها. ويندرج هذا المنهج ضمن تخصص فرعي داخل الأنتروبولوجيا وهو حقل الإتنوغرافيا Ethnographieأي المجال الذي له علاقة بالملاحظة المباشرة للوحدة الإجتماعية المضبوطة ضمن حقل الدراسة ، وتتمثل مهمته في وصف ورسم وتصوير حيثيات السلوك والممارسة الثقافية والإنتاج والنشاط الإنساني في محيطه الطبيعي والإعتياي وكل المظاهر ذات العلاقة. والمونوغرافيا بهذا المعنى الثاني تعني توجيه الأنشطة الفنية من ملاحظة وتصوير ورسم ووصف لمادة ذات خصائص محددة Limitées وموحدة؛ أي موضوع موحد المعالم يتعلق بالوسط أو بنظام العمل أو بالمعتقد أو بالعادات أو بالمؤسسات أو بالأدوات أو بالإنتاج او بالحرف والممارسات الثقافية بوجه عام.

هذه المعاني مستمدة من تفسير المكون الشكلي للمصطلح المدروس. أما من حيث المحتوى فإن التعرف على مميزات هذا النوع من البحوث ينطلق من معرفة الأهداف الكبرى للدراسات الإجتماعية والتي تتمحور حول الأهداف التالية:

1- دراسة الإنسان في محيطه الإجتماعي.
2- دراسات العلاقات الإجتماعية بين الأفراد
3- دراسة نظم اشتغال المجتمعات الإنسانية Fonctionnement

وقد استعملت الدراسات المونوغرافية في البحوث ذات الطابع السوسيولوجي للتعبير عن تلك الدراسات الميدانية المعمقة والمتعلقة بظاهرة أو واقعة اجتماعية محددة معتمدة بالأساس على الملاحظة المباشرة للوقائع كما تبدو من التجربة المعيشة. ويصنف أغلب المنهج المعتمد في ذلك ضمن علم الاجتماع التفهمي. ويؤكد ذلك ما عبر عنه " كوف مان Kaufmann Jean), (Claude, 1996 بقوله في تعريف الدراسة المونوغرافية : " في علم الاجتماع، يمكن تعريفه على أنه دراسة متعمقة تقتصر على حقيقة اجتماعية معينة وتستند إلى ملاحظة مباشرة تشارك في التجربة الحية وبالاتصال بالحقائق الملموسة. اليوم، يستخدم مصطلح دراسة مونوغرافية في المقام الأول عندما يتعلق الأمر "دراسة شاملة وواسعة لموضوع محدد ومحدود أو شخصية ما".

أما الدراسات الأنتروبولوجية فهي تتموقع ضمن الهدف الثالث المذكور اعلاه لأن خصوصيتها تتبع من نظرتها الكلية للظاهرة الإنسانية وهي تسعى في إطار مشمولاتها الى اثبات مفارقة أساسية أكدها الاتنوغرافي " كلود ليفي ستروس Claude Lévi- Strauss« وتكمن في تحويل العناصر الأكثر ذاتية الى عناصر إثبات موضوعية.

ويتضمن هذا التوجه البحثي مقدمات أساسية قائمة على الإقرارات التالية:

-إن وراء المجال الميداني العملي والممارسة الاجتماعية والثقافية والتربوية تكمن مادة معرفية، واعتمادا على المنهج المميز للأنتروبولوجيا من خلال الجمع والمقارنة والإستخلاص يمكن اكتشاف قواعد للخطاب والممارسات داخل الوحدات موضوع الدراسة مثل إحدى الممارسات بمجالات التراث الثقافي اللامادي أو مثل الممارسة الثقافية والتربوية بالمؤسسات المتخصصة في ذلك.

-كما يمكن اكتشاف المنطق العام الناظم للتفاعلات البينية وتمظهراتها المختلفة واكتشاف منظومات وقواعد عامة للسلوك الثقافي والاجتماعي.

وينهي (Claude Lévi- Strauss, 1958) بتعريفه لهذا الحقل بالرغم من الاختلافات الإسمية والإصطلاحية المكونة لمفاهيمه الداخلية باعتبار أن التمشي الأنتروبولوجي تلتقي خلاله ثلاثة مراحل (الاتنوغرافيا والاتنولوجيا والانتروبولوجيا)، في علاقة مزدوجة بين المنهج والاشكالية، بدءا من دراسة الحالة وصولا الى تحديد القوانين العامة.

وبهذا الضبط الاصطلاحي للمعرفة المونوغرافية فإننا نستطيع القول بأن الدراسة المونوغرافية التي تتوجه الى مؤسسات العمل الثقافي والتربوي الاجتماعي تتميز بأقدار عن التدقيق الإداري حيث أن الغاية تظل بحثية بالأساس لكنها تفتح على مسارات عملية تسمح بـ:

1- تحديد/ضبط/حصر العناصر الفاعلة والمؤثرة في أداء مؤسسة العمل الثقافي والتربوي ويمكن إدراج هذه العناصر فيما بعد في عمليات التخطيط والبرمجة الآنية والمرحلية والاستراتيجية ضمن السياسات العمومية المتدخلة وضمن مشروع المؤسسة.
2- الوقوف على مستوى ما من تقييم فاعلية هذه العناصر وقدراتها الفعلية والكامنة وكيفية انخراطها واشتغالها في إطار قيام المؤسسة بأدوارها ووظائفها.
3- إثارة الوعي لدى الفاعلين بالمؤسسة بأهمية المقاربة الكلية والجزئية للعمل الثقافي والفعل التربوي وتغيير السلوك بالوسط اللانظامي واستثمار التشخيص المدقق للمؤسسة من أجل القيام بالمبادرة والتدخل في إطار مقاربات التدخل الثقافي والتربوي والاجتماعي مثل مشروع المؤسسة (والتي تنتهي ببحث العمل Recherche action).
4- القدرة على ملاحظة الممارسة التنشيطية في بيئتها وتحليلها واستخراج العناصر الثابتة والمتحولة في الممارسة بأصنافها ومستوياتها المتعددة.
5- المعرفة الشاملة بالممارسة المهنية وتثبيت مخرجاتها العملية ومقاربتها في إطار اشكالي.
6- القدرة على معرفة خصوصيات مسارات التجربة وحدودها وعوائقها.
7- القدرة على تشخيص الخلل الوظيفي للمؤسسات والأداء الوظيفي للفاعلين فيها والجمعيات ذات العلاقة.
8- ضبط الملامح الأولية للكفايات الأساسية في الممارسات المهنية والوظيفية ذات العلاقة.

4- استثمار الدراسات المونوغرافية في دراسة التراث الثقافي

من أهم المواد الثقافية التي تشتغل فيها الدراسات المونوغرافية هي عناصر التراث الثقافي بجميع أبعاده وخاصة منها ما ورد في تعريف اليونسكو لما تسميه بالتراث اللامادي حيث انتهت الى تحديد خمسة أصناف أو مجالات أساسية كتصنيف عملي هام له أبعاد اجرائية في عمليات الجمع والتدوين والصيانة والفهرسة إن على المستوى المحلي أو الوطني أو حتى العالمي. وللتذكير فإن هذه الأصناف ضبطت كالتالي:

التقاليد وأشكال التعبير الشفهي، بما في ذلك اللغة كواسطة للتعبير عن التراث الثقافي غير المادي.

-فنون وتقاليد أداء العروض.

-الممارسات الاجتماعية والطقوس والاحتفالات.

-المعارف والممارسات المتعلقة بالطبيعة والكون.

-المهارات المرتبطة بالفنون الحرفية التقليدية" (اليونسكو، 2003).

إن من أهم الصعوبات التي تعترض الباحث الأنتروبولوجي للمسائل الإتنوغرافية المميزة للجماعات هي الوثائق الأصلية المعبرة عن أصالة الجماعة وهويتها الاجتماعية، ونحن نعتبر أن نصوص الشفاهية الشعبية إذا تم جمعها وتدوينها بشكل مدروس يمكن أن تكون مادة اتنوغرافية هامة للتقدم قي قراءة الواقع التاريخي للجماعة. إلا أن المسألة لا تقف عند حدود النص المرجعي، بل أن قراءة النص الشفوي وفهمه وتفسيره يعد الخطوة الثانية الأكثر استشكالا لدى المهتمين بالتراث الثقافي. وما نشأة المدارس الفكرية والفنية والأدبية واختلافها في تعاملها مع النص الشفوي إلا دليل على أهمية البعد المنهجي والعلمي لهذا التخصص والمبحث.

والمشروع العلمي يجب أن يأخذ بعين الاعتبار جميع مسارات المشروع العلمي ومنها عملية الجمع وعملية الفهم والتفسير في آن واحد حتى يتجنب مؤاخذات منهجية وسياقية معتبرة في تحديد النتائج.

1.4 المدونة في التراث الثقافي والدراسات المونوغرافية

برزت عديد هي المصطلحات ي أدبيات جمع وتدوين التراث الثقافي بمجالاته المختلفة فقد استعمل المشتغلون في هذا الحقل مصطلحات مثل الجرد Inventaireوقوائم الحصر والسجل Répertoire والمدونة Corpus والمكنز Thésaurus وجميع هذه المصطلحات رغم التباين بينها في التدقيق اللغوي لا تعني سوى تلك المجموعة من الوثائق المتجانسة التي تعبر عن المواد الأصلية أو المرجعية في التراث. وقد حثت اليونسكو ضمن اتفاقيتها حول التراث اللامادي جميع الدول على اعتماد برنامج وطني لحفظ التراث وصيانته انطلاقا من اعداد هذه الأدوات (جرد، قوائم حصرية، مدونات..) بشكل يحترم المادة التراثية في حد ذاتها أولا كما يحترم المجموعة المحلية أو الكنوز البشرية المنتجة لهذا التراث، مثلما يحترم تكليف خبراء في توثيق التراث الثقافي وتعهد التكوين والتدريب للقيام بشكل مستمر بصيانة التراث وتحيين المدونات في الغرض.[4]

[4] جاء هذا التوجه لليونسكو واضحا في الاتفاقية المذكورة حول التراث اللامادي وخاصة في المادتين 12 و13 من ما يلي: المادة 12: " قوائم الحصر 1- -من أجل ضمان تحديد التراث الثقافي غير المادي بقصد صونه، تقوم كل دولة طرف بوضع قائمة أو أكثر لحصر التراث الثقافي غير المادي الموجود في أراضيها. ويجري استيفاء هذه القوائم بانتظام.

2 -وتقوم كل دولة طرف، لدى تقديم تقريرها الدوري إلى اللجنة وفقا لأحكام المادة 29 ، بتوفير المعلومات المناسبة بشأن هذه القوائم.

يحما ية صون التراث الثقافي غير المادي الموجود في أراضيها وتنميته وإحيائه، تسعى كل دولة طرف إلى القيام بما يلي:

(أ) اعتماد سياسة عامة تستهدف إبراز الدور الذي يؤديه التراث الثقافي غير المادي في المجتمع وإدماج صون هذا التراث في البرامج التخطيطية؛

(ب) تعيين أو إنشاء جهاز أو أكثر مختص بصون التراث الثقافي غير المادي الموجود في أراضيها؛

(ج) تشجيع إجراء دراسات علمية وتقنية وفنية، وكذلك منهجيات البحث من أجل الصون الفعال للتراث الثقافي غير المادي، ولا سيما التراث الثقافي غير المادي المعرض للخطر" (اليونسكو،2003).

2.4 تعريف المدونة:

المدونة هي مجموعة **"محددة" و"مختارة"** من **"النصوص الاتنوغرافية" "المتجانسة"** والتي تكون مع بعضها **"وحدة موضوعية"** وتعتبر **"مادة منهجية" ومنطلقا "للمعالجة الكيفية والكمية"**.

أما الوثيقة الاتنوغرافية فهي كل وعاء يتضمن معلومات أصلية متاحة حول المعرفة الاتنولوجية لمجتمع محدد بما يعني هويته الثقافية وخصائصه المعيشية والحياتية بجميع أبعادها.

ولا تسمح المدونة فقط بالإطلاع على النص وإنما أيضا على المحيط والسياق المنتج للنص المباشر وغير المباشر، وتشكل بذلك المرجع الوحيد والأساسي في التحليل والفهم واستخراج الدلالة. كما أن المدونة في التراث الثقافي تتعارض مع المعطيات العشوائية من ناحية وتتناقض مع المعطيات المصطنعة أثناء التجميع من ناحية أخرى بغرض توجيهها لفائدة تأكيد أو دحض فكرة أو فرضية بحثية ما.

3.4 نموذج لمدونة جمع وتدوين التراث الشفوي الشعبي: الحكاية الشعبية

المادة التراثية الشفوية هي مادة ذات خصوصية تستوجب التعاطي معها بشكل منهجي حذر يستوجب الأخذ بعين الاعتبار الكثير من المتغيرات يجب أن تضمن في وثيقة الجمع والتدوين للمادة الشفوية موضوع المدونة. ويتبين من خلال نلك الوثيقة أن عملية الجمع ليست مجرد تسجيل بالصوت أو الفيديو للحكاية وانما هو تصور كامل ومشروع بحثي متكامل الأبعاد يتوفر على عناصر يجب تثبيتها مع النص الشفوي أثناء عملية الجمع حتى تتوفر الشروط العلمية للوثيقة الاتنوغرافية المعتمدة ضمن مدونة البحث.

وقد اعتبرنا أن المادة الشفوية التي يقدمها الراوي هي في حد ذاتها وثيقة اتنوغرافية يجب تثبيتها ونقلها في إطار هذه الجذاذة ضمن سياقها العام والخاص. ودون هذا السياق متعدد الأبعاد والمتمثل في سياق فضاء الحكي التواصلي الاجتماعي وسياق الراوي وذاكرته الفردية في علاقة بالذاكرة الجماعية، وسياق المكان وبنيته المادية وتاريخه الثقافي والرمزي.

ومن خلال تجربتنا العلمية والميدانية منذ سنة 2001 في البحث والتدريس والتكوين في توثيق التراث الثقافي استطعنا ان نصل الى صياغة وثيقة نعتبرها نموذجا في جمع وتدوين التراث الثقافي الشفوي الموجه للحكايات الشعبية ونعرضها كالتالي:

جمع وتدوين التراث الشفوي الشعبي

"الحكايات الشعبية"

جـــذاذة فنيـــة: جمع وتدوين

مكان التسجيل	الراوي	عنوان الحكاية	الرمز
جغرافيا:البلدة/الجهة اقتصاديا:تجارة/ حرف مميزة تاريخيا : أهم الأحداث التي شهدتها المنطقة. معالم وآثار / شخصيات تاريخية	الإسم واللقب: السن: الجنس: مكان الولادة: المهنة: العرش/القبيلة: أسطورة التأسيس الوضعية المدنية: المستوى التعليمي: عدد الأبناء: السفرات: قدرات خاصة: (تفسير الأحلام، التداوي بالأعشاب، قراءة الكف، فك الطلسمات...) غناء: شعر شعبي: أحاجي: أمثال شعبية:		رمز الملف: وعاء رقمي: عناصر الملف:
		مصدر سماع الحكاية	الموثق وجهة الإشراف
		تاريخ التسجيل/التوقيت مكان التسجيل وفضاء الحكي	مدة السرد/الحجم وبرمجية القراءة والتصفح

فهرسة المضمون:

المقولة الإستهلالية		المقولة الختامية	
الموضوع الرئيسي		الشخصية الرئيسية (الخيرة)	
الموضوع الفرعي01		الشخصية الرئيسية (الشريرة)	

الموضوع الفرعي02		شخصيات أخرى إيجابية	
الموضوع الفرعي03		شخصيات أخرى سلبية	
مظاهر العجيب والغريب: وضعية الإنطلاقة: وضعية المسار والصراع: الوضعية الجديدة:			
الكتابة الصوتية للخرافة: فهرس الأسماء: فهرس الأماكن: فهرس أسماء الآلة: تفسير المصطلحات المحلية باللغة العربية.			

تختص هذه الجذاذة بجمع وتدوين الحكاية الشعبية الشفوية في إطار مدونة متكاملة وتتوفر على عناوين أساسية في عملية الجمع والتدوين تتوافق مع طبيعة المادة وسياق انتاجها. وتتوزع المعلومات على:

1- معطيات تخص المنطقة أو الجهة التي تمت فيها عملية الحكي.
2- معطيات تخص الراوي وقدراته ومهاراته
3- معطيات تخص المادة المجمعة
4- معطيات تخص الموثق ومرجع الإشراف والوثيقة النهائية
5- معطيات تخص عمليات فهرسة المضمون والمحتوى.

وباعتبار أن المدونة هي مجموعة من النصوص، ولكن ليست كل مجموعة من النصوص هي مدونة فإن من أهم شروط المدونة في التراث الثقافي نجد:

- **شرط السياق**: الوثيقة الاتنوغرافية هي تعبيرة اجتماعية وثقافية مميزة لبيئتها وتتوفر على سياقات خاصة في الإنتاج والممارسة وتحمل دلالات ومعاني لا يمكن أن يفكك تشفيرها الا من خلال بيان سياقاتها. فالسياق هو المنتج للمعني ولذلك فإن نقل المادة الاتنوغرافية لا يكتمل الا بنقل السياق ويعتبر بذلك السياق جزءا لا يتجزأ عن الوثيقة الاتنوغرافية بل هو الوجه الآخر للوثيقة الإتنوغرافية.

- **شرط الدلالة**: يجب أن توفر المدونة دلالة ومعنى ثقافيا وعلميا يمكن التعاطي معه وكلما كانت الدلالات أوفر استحقت المدونة المكانة الأوفر في العناصر الثقافية المميزة للمجموعة البشرية والدلالة واضحة في مادة المدونة في علاقتها بالذاكرة الجماعية والمخيال الجماعي وكممارسة ثقافية لها تاريخ في الثقافة الوطنية وثقافات الأمم.

- **شرط المقبولية**: تتوفر المدونة على موضوع يسمح بالاشتغال عليه وتنطبق المدونة بالضرورة على الموضوع المطروح بشكل كلي وتوفر نسبة هامة من المعلومات صالحة للدراسة والبحث. [5]

- **شرط الاستغلال**: أي أن الوثائق متاحة يمكن الاشتغال عليها والوصول إليها وليست وهمية أو مجردة وخيالية. ومثال المدونة متوفر لدى كبار السن الذين لديهم موهبة الحكي. أما المعطى

[5] نقدم فيما يلي بعض النماذج من المواضيع التي تعتمد على مدونات من التراث الثقافي يمكن الاستفادة منها في تطوير البحوث الانتروبولوجية:

ع	العنوان	ع	العنوان
1	عالم الأساطير والتمثلات الكبرى والقيم والأديان	14	الشفاهية الشعبية: أمثال ونكات شعبية
2	عالم الطقوس والممارسات	15	الإحتفالات وأساليب العروض الفنية
3	أيقونات / صور الحياة الشعبية	16	الطب الشعبي
4	الأزياء والملابس والمنسوجات	17	اتنولوجيا الترفيه
5	العادات والتقاليد الشعبية والفعل الثقافي	18	السحر
6	الفنون الشعبية	19	الزوايا وممارسات العبادة
7	أنماط السكن	20	القصص الشعبي: الخرافة الشعبية والسير
8	الثقافة الشعبية في الوسط الحضري	21	صدام الحضارات /حوار الثقافات /الوساطة الثقافية
9	الأغاني والموسيقى الشعبية	22	أساطير المنشأ
10	الأكلات الشعبية وأساليب الحفظ	23	الإتنولوجيا الصناعية/ مهارات الحرف والمهن التقليدية
11	اللهجات وأسماء الآلات والإستعمالات اللغوية	23	ذاكرة المكان
12	أتنولوجيا الجياة اليومية	25	دورة الحياة ودورة السنة
13	الترفيه والمجتمع	26	الشخصية الأساسية وهرمية القيم

الخيالي الوارد في الحكاية أو العناصر الخرافية فهي مطلوبة في هذا الأثر ولها دلالات وردت بمختلف الكتابات المتخصصة في الموضوع.

أما المبادئ الرئيسية التي يجب أن تقوم عليها فهي:

- **مبدإ الترابط** مع موضوع وهدف البحث: أي أن هدف البحث وموضوعه هو الذي يعطي معنى لاختيار المدونة وعناصرها.

- **مبدإ التجانس** والتناسق فالنصوص تمثل وحدة معيارية لموضوع ما تتضمن تفرعات داخلية تترابط منطقيا ولبست مجموعة من النصوص المتلاصقة حيث تخضع جميع النصوص الى اختيارات دقيقة وموحدة بين جميع مكوناتها. هذه الوحدة يمكن أن تختص في موضوع، او رقعة جغرافية أو فترة زمنية أو شخصية أو غير ذلك ومنها اشتق مصطلح الدراسة المونوغرافية. والحكاية الخرافية هي جنس في حد ذاته وبالإمكان مزيد تخصيصه لتوفير مدونات مختصة مثل حكايات المرأة أو حكايات في منطقة جغرافية محددة أو حكايات ذات موضوع محدد أو قيمة معينة كحكايات الأطفال (Bouhdiba Abdelwahab, 1997)وحكايات عن شخصية خيالية كالغول مثلا.

- **مبدإ التمثيلية**: يجب أن تكون جميع العناصر ذات العلاقة بالموضوع المحدد للمدونة التراثية متوفرة وتغطي جميع الاحتياجات البحثية أو غالبيتها الدلالية من الناحية الكمية والكيفية على السواء، ويضل البحث جار عن استكمال عناصر جديدة في المدونة الى غاية تحقيق اكتمال الدلالة. مثال ذلك إذا كانت المدونة تغطي جهة بعينها مثل القصرين بالوسط الغربي للبلاد التونسية فلا بد من أن تشمل عملية الجمع كافة المعتمديات الخاصة بالجهة كاملة [6]

- **مبدإ الانتظام**: أي توفر الاستقرار النسبي في الزمن والتواتر المنتظم للوثائق المدروسة، فهي تعبيرات مستدامة في الواقع وليست لحظات عابرة وغابرة في الزمن مما يستوجب التحيين المستمر والانتظام في نقل وتصوير وتوثيق الواقع. وهذا المبدأ يتماهى مع خصوصية المادة التراثية باعتبارها مادة تنتقل من جيل الى جيل وتحمل في طياتها دائما خصائص الزمان والمكان وتتمظهر في كل مرة بلبوس سياقها التاريخي والاجتماعي والثقافي العام.

- **الحجم**: كلما كان الحجم أكبر كلما ساعد ذلك على الاحاطة أكثر بموضوع البحث. على أن ذلك ليس قاعدة مطلقة لكل المواضيع، وعليه يجتهد الباحث في التوفيق بين الكم والكيف من خلال معادلة خاضعة لمنطق ومبرر يعلنها الباحث ويضعها مبررا لاختياراته. ومن هذا المنطلق تعتبر عملية الحث عن الوثيقة الاتنوغرافية في إطار تكوين المدونة أمرا ليس متاحا بيسر لا في الزمان ولا في المكان، فالبحث عن الوثيقة الاتنوغرافية عملية شاقة وتتطلب صبرا ويقظة وانتباها شديدا من الباحث.

[6] عدد المعتمديات بجهة القصرين هي 13 معتدية وهي: القصرين الشمالية، القصرين الجنوبية، تالة، جدليان، حاسي الفريد، حيدرة، سبيطلة، فريانة، فوسانة، ماجل عباس، سبيبة، الزهور، العيون.

5- استثمار الدراسة المونوغرافية وتطبيقاتها على المؤسسة ومقاربتها في إطار اشكالي

إن المعرفة بالممارسة ضمن مؤسسات العمل الثقافي أو الجمعيات المختلفة ذات العلاقة، وتحليل هذه الممارسة في كافة أبعادها والوقوف عند أهم الاشكاليات العملية والتطبيقية وما تحمله من تصورات ومفاهيم موجهة للفعل، يمثل مدخلا أساسيا لا يمكن الاستغناء عنه للتعاطي العلمي والبحثي لمؤسسة الفعل الثقافي والتربوي والتنشئة الاجتماعية الناجمة عنها. كما أن تحليل الممارسة هو مجال بحثي وتكويني له علاقة مباشرة بالحقل العام المؤطر للفعل الثقافي ويفتح المجال امام الباحث والفاعل والمسؤول الإداري على السواء لادراك مختلف اوجه الاستعمالات في ممارسة هذا التخصص المهني ومنها إدراك الأثر الناجم عن الممارسة وتسمية مخرجاتها بشكل دقيق ثم تقييم الأثر في علاقته بالفئات الاجتماعية ذات العلاقة وأيضا في علاقة بالحاجيات الاجتماعية العامة والديناميكية الناجمة عن التغير الاجتماعي. وتكمن أهمية الاشتغال بحثيا وفق المقاربة الاتنوغرافية المهتمة بنقل وتصوير الممارسة وتحليلها في أبعادها المختلفة، في الربط بين الممارسة والبحث وتعطي للبحث معنى براغماتيا يساعد على فهم الممارسة وتحليلها ومن ثم القدرة على تطويرها. بعيدا عن منطق المراقبة والتحقيق الذين تمت الاشارة اليهما في وظائف التدقيق للمؤسسة الإدارية.

وقد أشارت بعض تقارير اليونسكو (اليونسكو، معهد الإحصاء، 2013) الى أهمية المواد الثقافية إنتاجا وممارسة وصناعة وتأثيرها البالغ في المجتمع وعلى التنمية الاجتماعية وهي ملحوظة في مجالات التماسك الاجتماعي وإدماج الفئات المهمشة وتشكيل نظام قيم جديد وتأكيد الإبداع والموهبة والتميز والتحفيز نحو الابداع والابتكار وتنمية التنوع الثقافي والهوية الوطنية وهوية مختلف المجموعات الثقافية. وتعتبر مؤسسات العمل الثقافي والتربوي من بين أهم المؤسسات التي تعمل على تكريس تلك القيم من خلال المواد الثقافية وتعتبر بالتالي جديرة بالتشخيص والتدقيق لمعرفة تحقق تلك القيم ومستوياتها من الممارسة والانتشار.

إن مؤسسة العمل الثقافي والتربوي منفردة أو مجتمعة في إطار رقعة جغرافية واحدة مثل الولاية أو المعتمدية، تعتبر وحدة إجتماعية قابلة للدراسة يمكن التعاطي معها في إطار علاقتها مع محيطها وعناصرها الداخلية من ناحية ومن حيث تموقعها في اطار علاقتها مع محيطها الخارجي من ناحية ثانية.

1.5 التموقع الداخلي:

ونعني به التفاعل بين العناصر والمكونات الداخلية للمؤسسة بما يجعل منها أداة للفعل والإنتاج، وتشمل هذه العناصر: الرواد (الفئات التي ترتاد باستمرار هذه المؤسسات) والمستفيدين، الإطارات المهنية، الإدارة، العملة والإداريون، الموارد المالية والمادية، الأهداف والتمشيات، البرامج والمشاريع والمخرجات والأثر على السلوك والتنشئة الثقافية والاجتماعية، الاندماج الثقافي، استدامة الأثر والتنمية المستدامة،

2.5 التموقع الخارجي:

ويعني حصيلة تفاعل المؤسسة مع دوائر محددة من المحيط وقياس مستويات التشبيك والأثر والتفاعل بهدف تحقيق الإشعاع المحلي والخارجي، وتشمل العناصر التالية:

-السلط الإدارية والسياسية والجمعياتية.

-المحيط الإقتصادي

-المحيط الإعلامي

-المحيط التربوي

-المحيط الإجتماعي والثقافي

لكن يوجد طرف آخر وسيط والمتمثل في الإدارة الفنية وسلك والتفقد البيداغوجي التي تشتغل بتفاوت داخل هذه المؤسسات. واعتبارا لانخراط هذا الطرف في تمشي المؤسسة وموقعه من جملة الأطراف الآخرين فهو يحتل موقع الفاعل في حركة الواقع ضمن سياقات مضبوطة. ويمكن تصنيفه ضمن التموقع الداخلي للمؤسسة باعتباره جزءا من منظومة التسيير لكن يأخذ أدوارا في إطار مسافة ما من الأداء لأنها تختص بالتقييم، والتقويم، والمراقبة والمرافقة.

وانطلاقا من مجموع العلاقات المتشابكة للأصناف الثلاثة من المواقع السالفة الذكر فإن إدراك المشهد التفاعلي للمؤسسة الثقافية والتربوية في إطار قراءة مونوغرافية مميزة يمر عبر المستويات الإشكالية التالية:

*** المستوى الأول: الرؤية الكلية والإجمالية**

- هل توجد رؤية موحدة وكلية تجمع هذا الشتات من المواقع وعناصرها المتنوعة؟

- هل تضع المؤسسة خطة عملية تتضمن استيعابا لهذه العناصر؟

- هل توجد استراتيجية عمل سنوية أو مرحلية للإجابة على هذه العناصر في إطار خصوصية المؤسسة، وهل توجد أولويات لتحقيق ذلك؟

*** المستوى الثاني: الرؤية المرجعية**

-هل توجد مرجعيات واقعية وعلمية للتوجهات والتدخلات العملية لمؤسسة العمل الثقافي والتربوي في اتجاه الداخل أو الخارج؟

-هل أن المبررات المنتخبة مسنودة بقراءة موضوعية لواقع المؤسسة وامكانياتها ولمحيطها بكل مكوناته؟

-التموقع الثقافي والتربوي والاقتصادي في المحيط المحلي والوطني

*** المستوى الثالث: صور الممارسة للمؤسسة**

- الممارسة الثقافية والتربوية بجميع أشكالها، انتاجا وصناعة: المشاركة والأثر والتأثير

- هل يعكس السلوك العملي اليومي نوعية هذه ادبيات الرؤية المرجعية والرؤية الكلية؟

- هل يوجد تباين أو تعارض أو تعاضد بين المعلن في القول وبين الممارسة لمختلف الاطراف الفاعلة؟

- هل يوجد تقييم بنائي دوري لتقويم التدخل وتصحيح المسار؟

- ماهي الأشكال المقررة لهذا التقييم (Anne-Catherine de Perrot et Tina Wodiunig, Jakob Schmid, 2008) والمتابعة (الوثائق والسجلات وأشكال الملاحظة المختلفة)؟ هل هي وظيفية؟ عملية؟ وناجعة؟ وماهو موقع وأثر كل فاعل في إطار ذلك؟

- ماهي الآليات المعتمدة للتعديل والتصحيح؟

وتتطلب هذه المستويات الثلاثة المعالجة الإشكالية التالية والتي تحيل مباشرة الى الإستعمال المنهجي للدراسة المونوغرافية للمؤسسة.

فكيف يمكن إذن متابعة السلوك اليومي لمختلف المجالات التي تجمع الفاعلين في المؤسسة ورصد استراتجياتهم كل حسب خصوصيته ومدار اهتمامه؟ وما هي نوعية الفعل والتدخل لكل فاعل في المؤسسة واتجاهات ردود الأفعال المسجلة تجاه المايحدث ونوعية المعلومات المتبادلة وشبكات العلاقات المتكونة والناشئة والمرغوبة التي يحتضنها نشاط المؤسسة؟ كيف نحلل تفرد هذه الممارسات في الوظيفة والمهنة والتطوع؟ وهل يمكن رسم صيرورة معينة لهذه التفاعلات ورصد مسارها بشكل واضح في إطار تفاعلها مع محيطها العام الثقافي والتربوي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وضبط مخرجاتها بكل دقة والقدرة على تمييزها عن غيرها من مخرجات المؤسسات النظامية كالتعليم أو الأولية كالأسرة مثلا؟

إن العمق الإشكالي الذي تطرحه الدراسة المونوغرافية للمؤسسة ينبع أساسا من الأهمية التي تقوم بها مؤسسات العمل الثقافي والتربوي بالوسط اللانظامي في الوقت الحر وخاصة في مستوى الممارسات وكثافة التدخلات الموجهة لفائدة تعديل السلوك وتعزيز التعلمات في نواحي معرفية، وحسية حركية، ووجدانية قيمية، ورمزية.

ونظرا إلى أن هذه التدخلات تأخذ أشكالا متعددة وتتباين نتائجها بحسب متغيرات مكونات كل وضعية فإن الرصد العلمي أو الدراسة العلمية مؤسسات العمل الثقافي والتربوي بالوسط

اللانظامي لا يمكن أن تستغني عن المناهج المعتمدة في الدراسات المونوغرافية لأن هذه الأخيرة توفر إطارا نظريا أمثلا للملاحظة وتتبع أثر السلوك والممارسة وتقييم المردود.
واعتبارا الى أن نشاط المؤسسة من هذا المنطلق يرفض الأنشطة المصطنعة أو المخبرية أو التي تجرى عليها العمليات الإشهارية أو الدعائية المصدرة للإستهلاك لفائدة الآخر المغاير لأن نتائجها بصفاتها تلك ستخالف البناء الداخلي وستظهر عكس ما تضمر فإن أدبيات المنهج المونوغرافي له القدرة على تجاوز هذا النوع من الصعوبات وذلك باستعماله منهج البحث الميداني واعتماده على الملاحظة بالمشاركة " L'observation participante".
فما هي الخصوصيات المنهجية في استعمال الملاحظة بالمشاركة في البحث الميداني الموجه للمؤسسة ككل؟

6- البحوث الميدانية ذات العلاقة بالدراسات المونوغرافية

تختلف البحوث الميدانية- أي البحوث التي تتقيد بالمعطيات التي يزودها الواقع بكل مكوناته - حسب متغيرات مختلفة ومتنوعة تؤثر بأشكال متفاوتة في طبيعة هذه البحوث، وتعطيها خصوصية معينة ومن بين هذه المتغيرات الأهداف من حيث شمولها واتساعها والفئات المستهدفة ووسائل البحث المعتمدة وحجم الميدان ودرجة الدقة والقياس المطلوبة في تتبع الأثر.
ومهما اختلفت هذه المتغيرات إلا أن ذلك لا يمس من الصرامة المنهجية التي تتمتع بها مثل هذه الدراسات أمام كثرة المعلومات وما يقابله من حرص متناه لاستيعابها وقبولها حتى لاتفوت احداها قد يكون لها أهمية بمكان في قراءة واقع المؤسسة وتفسير حركتها ونشاطها.
وعلى ذلك فإنها تطرح تحديات تعود لخصوصية استعمال هذا المنهج ومنها أساسا أن المشاركة الميدانية في حياة المجموعة بهدف ملاحظتها وبالتالي دراستها يطرح تحديات مثل قبول المجموعة والمؤسسة للباحث ودرجة التعاون التي يقابلها به الفاعلون في المؤسسة حتى تتمكن الملاحظة من رصد مراجع هامة للمعلومات في إطار المؤسسة. وتتميز هذه المعلومات بخاصياتها غير المقننة وغير الثابتة وعدم تجانسها حيث تشمل الآراء والسلوكات والممارسات والمواقف مما يعسر وضعها في مشروع بحث ميداني موحد.
وقد ظهرت في خضم هذه الأسس العملية توجهات بحثية حملت معها تصنيفات للبحوث الميدانية وهي:
بحوث التشخيص "Diagnostic " وتعمل بموجب مثال توجيهي يتضمن فرضيات محددة تقود عملية البحث لتفسير نشاط المؤسسة ووضع المجهر على مواطن مشخصة بقصد معالجتها داخل النسق العام. ومن الممكن تطبيق هذا المنهج لرسم السياسات الثقافية المحلية ولتشخيص الممارسة واستثمارها لفائدة مشروع المؤسسة قبل وأثناء وبعد انجازه. وتنطلق بحوث التشخيص من اشكاليات دقيقة حول مظاهر محددة من حياة المؤسسة بهدف فهمها وتحليلها ووضعها على ذمة مختلف الفاعلين للاستفادة منها وخاصة من ناحية التحسيس والتقييم والتطوير ومنها مثلا التمثلات الاجتماعية حول مؤسسة العمل الثقافي والتربوي، العلاقة الإتصالية بين الفاعلين والأداء البيداغوجي، الهوية المهنية للفاعلين، الفعل الثقافي والتربوي والاجتماعي وغيرها من الاشكاليات المطروحة. (رجب عبد الستار، 2000).

2.6 بحوث الإكتشاف " Exploration" وتعتمد الوصف وتجميع المعلومات التي تم انتقاؤها بطريقة علمية لكنها عامة وشاملة وموسعة لموضوعات عدة. ويمكن تطبيق هذا المنهج قبل اختيار مشروع المؤسسة لكشف القدرات الفعلية والكامنة للواقع بكل مكوناته حيث يمكن التفطن بعد ذلك الى المواطن التي يمكن أن يتعاطى معها مشروع المؤسسة باعتبار أن المشروع ينطلق من مبررات موضوعية وواقعية. ونظرا لأن البحوث الشاملة التي لا تستثني شيئا تعتبر مكلفة ولا تبرز الجدوى منها على المدى القريب والمتوسط فإنه يمكن الجمع بين بحوث التشخيص وبحوث الاكتشاف في مسار موحد لتجاوز مسألة التعميم المبالغ فيه والاستفادة الواضحة من الموارد المالية والبشرية واللوجستية التي تتوفر عند انجاز المشروع البحثي، حيث يتم حصر الملاحظة في نطاق إشكاليات كبرى تختزل تفرعات متعددة. مثل قضية الوقت الحر وفضاءات التنشئة، التغيرات الاجتماعية وعلاقتها بالتغيرات الثقافية. ومن أمثلة الإشكاليات البحثية لبحوث الاستكشاف هو المشهد الثقافي المحلي والجهوي ومؤسساته وجمعياته والفاعلين فيه وموارده القانونية والمالية.

3.6 بحوث التجريب والإختبار**:** استعمالها قليل ونادر وذلك لصعوبتها في الميدان التطبيقي وعدم القدرة على السيطرة على المتغيرات والتحكم فيها لكنها تظل ممكنة ومفيدة في تقديم معلومات حول العلاقة بين متغيرين أو أكثر وتستدعي توفير وسائل ملاحظة دقيقة سمعية وبصرية متطورة. ويمكن من خلال البحث في الممارسة المهنية أن نوظف مثل هذه البحوث ضمن موضوعات مدققة في الأداء المهني والبيداغوجي مثلا، أو في التواصل اللفظي وغير اللفظي بين الفاعلين أو انجاز حوارات مع مجموعات مصغرة Focus groupesوحصرية لمعرفة المواقف والآراء والتمثلات والمكتسبات.

4.6 الملاحظة بالمشاركة (الإنجاز التطبيقي للمقاربة)

لقد أشرنا في موضع سابق إلى أن الملاحظة بالمشاركة تطرح صعوبات أساسية تتمثل في درجة قبول المؤسسة للباحث بصفة من الصفات المبررة لوجوده داخل المؤسسة. ولذلك فقبل اعداد وسائل الملاحظة ورصد المعلومات فإن الباحث يجب أن يوفر جهدا أساسيا في تهيئة مناخ العمل والتحاور مع المؤسسة لتنظيم وتقنين التواجد بالمؤسسة وشرعية طلبه للمعلومات من المصادر المتنوعة. وتختلف المؤسسات من حيث درجة قبولها لأطراف أخرى داخل المؤسسة مهما كانت مبررات وجودهم. وحسب تجربتنا العملية فإن المؤسسات التربوية تعد من أكثر المؤسسات التي يتطلب وجود الباحث أو المتربص بها مسارا اداريا شاق ومضنيا وينتهي في الغالب الأعم بالرفض أو بالإجابة بعد الوقت المطلوب والآجال التي يتطلبها العمل الثقافي أو التربوي أو البحثي. أما المؤسسات السجنية فقد لوحظت بعض التغيرات في علاقتهم بمحيطها الخارجي بعدما كانت مغلقة تماما أمام الآخر غير المهني خاصة بعد الثورة في تونس (جانفي 2011). فقد يقتضي البحث مثلا بهذه المؤسسات القيام بمقابلات شفوية أو مسجلة لفرد أو لمجموعة أفراد أو القيام باستبيانات للشبان أو للإطارات أو للموظفين والعملة أو لإدارة المؤسسة أو للأولياء أو لغيرهم لمعرفة موقف أو ممارسة أو سلوك ثم العمل على تحليله. كما يمكن أن تكون الملاحظة

بالمشاركة في اقتراح مجموعة من البرامج الثقافية على مجموعة من المستفيدين ومتابعة مختلف التفاعلات الناجمة عن هذا الفعل وقياس تأثيره على المواقف والعلاقات والسلوك بشكل عام.

كما يمكن أن يعنى البحث بملاحظة مباشرة عن طريق العين المجردة وباستعمال شبكات الملاحظة أو بالتصوير لأداء أثناء النشاط أو أثناء اجتماع لتوزيع العمل وتنظيمه أو القيام بسلوك اداري معين. ولذلك فإن أدبيات البحث يمكن أن تمتد الى كل الإنتاجات بالمؤسسة منها الوثائقية الإدارية والتسييرية الجارية أو الراجعة. ومختلف الإنتاجات الأخرى المنتجة في إطار نوادي الإختصاص أو الفعل الثقافي أو مشاريع المنشطين أو الأعمال الأخرى. وقد يستدعي ذلك وقتا يتسع بقدر متطلبات البحث. ونظرا للإحتمالات الممكنة لاستعمال هذه التقنيات بعضها أو جلها أو كلها بما يعني الدخول الى حياة المؤسسة واكتساحها وتكثيف التبادلات التفاعلية والمشاركة أثناء العمل والإنجاز، فإن التحاور مع المعنيين وموافقتهم قبل الشروع في ذلك مهم جدا وضروري لاستقاء المعلومات بشكل أقرب للتلقائية.

لكن، بأي صفة يعلن الباحث عن وجوده وأدواره داخل المؤسسة؟ أي ما هي الصورة التي يظهر عليها أثناء القيام برصد المعلومات وتجميعها؟

مسألة القناع Masque

إن اخفاء الدور أو إظهاره هما تمشيان لكل منهما ايجابياته وسلبياته وعموما فإن الإعلان عن أهداف البحث والهوية المهنية للباحث يجنب عديد المشاكل المستعصية وإغفال ذلك الإعلان يتنافى مع أخلاقيات البحث العلمي وقد يسبب حرجا كبيرا. إلا أنه يمكن عدم ذكر بعض التفاصيل للفئات المعنية بالملاحظة حتى لا تغير سلوكها الإعتيادي فتختفي المعلومات الواقعية وينحرف البحث عن مجراه الطبيعي.

وشرط استقاء المعلومات في سياقها الطبيعي ضروري ومسألة ملحة في الاعتبارات المنهجية ولا يمكن الاستغناء عنها في أي دراسة مونوغرافية كما أكدنا سابقا في شروط المدونة.

لكن من هو هذا الباحث الذي يمكن له أن يقوم بهذا النوع من الدراسات المونوغرافية بمؤسسات العمل الثقافي والتربوي بالوسط اللانظامي ويوفر سجلا من المعلومات المرجعية في قراءة واقع وامكانيات المؤسسة؟ هل يمكن أن يكون الطالب المبتدئ أو الباحث المتمرس أو المنشط في حد ذاته أو مدير المؤسسة، أو المرشد البيداغوجي أو متفقد المؤسسة مثلا[7]؟ لكن في مثل هذه الحالة، فإن البعض من هؤلاء هم أطراف فاعلون في المؤسسة ويمتد إليهما تبعا لذلك آثار التقييم.

[7] المؤسسات الشبابية في تونس مثلا تتوفر على جهاز التفقد البيداغوجي ويتوفر على إطارات لها تجربة ميدانية وخبرة عملية هامة في المهنة وأدوارها قريبة جدا مما يمكن أن توفره الدراسات المونوغرافية لأنها تعتمد الملاحظة والمرافقة أثناء عمليات التقييم والتقويم سواء للمنشط أو للمؤسسة ككل. ويمكن أن تكون مهمة البحث موكولة لهذا الجهاز إذا تم التركيز على متغيرات أخرى خارج مجال فعل سلك الإرشاد والتفقد البيداغوجي في اطار بحوث التشخيص. كما يمكن تطبيق ذلك إذا تم التعامل مع إطارات من سلك التفقد والإرشاد البيداغوجي خارج الدائرة الترابية المتابعين لها. ورغم أن هذا المتفقد ينتمي الى المنظومة الداخلية للإدارة فإنه يتوفر على نوع من السلطة الهامة التي يمكن أن تؤثر على النتائج الموضوعية لعملية الملاحظة. فالمنشط مثلا في بعض الأحيان عندما يتم

ولم يخف على المهتمين بقضايا التقييم والملاحظة أهمية هذا الإشكال فصنفوا الباحثين الى صنفين يمكن أن يحققا التكامل في الأدوار لتغذية الناتج العلمي والمنهجي المطلوب من مثل هذه الدراسات المونوغرافية:

الملاحظة بالمشاركة من الخارج:

ويمكن أن يكون خبيرا متخصصا في التقييم أو مكلفا بإجراء ملاحظة ميدانية ممنهجة وفق شبكات ملاحظة تم إعدادها مسبقا من قبل أطراف آخرين. فالباحث مثلا يمكن أن يركز على فئة معينة من الفاعلين في الحقل الثقافي والتربوي بهذه المؤسسات كالرواد أو المنشطين أو مديري المؤسسات في حد ذاتهم ويعرض عليم محادثة تتكرر باستمرار بشكل دوري وحسب مسافة زمنية محددة وتسمى مثل هذه البحوث ببحوث البانال Pannel من أجل دراسة المواقف من قضايا محددة في المشهد الثقافي والسياسات الثقافية وتعيرها حسب الزمن وأسباب هذه التغيرات (Madeleine Grawitz, 1996). إلا أن هذا الأسلوب في الملاحظة قد لا يحض دائما بنفس النجاحات المطلوبة ويجب الانتباه إلى بعض المآخذ التي يمكن أن تحيط بنتائج هذه الممارسة البحثية لأن هذا الملاحظ الخارجي:

- جاء من خارج المؤسسة ولا يتمتع بالشرعية الكافية وعادة ما ينظر اليه بعين الريبة حول استغلال النتائج والجهات التي تمول هذه المشاريع لقياس الرأي والمواقف. ويمكن في أغلب حالات الريبة أن يتحصل الباحث على معلومات مغلوطة.

- ليس متفرغا نهائيا للبحث بحيث أن له مهاما أخرى تمنع تواجده المتواصل والمستمر بالمؤسسة لمعرفة التجارب المختلفة التي مرت بها المؤسسة والفاعلون داخلها وأنساق تطور المواقف.

الملاحظة بالمشاركة من الداخل:

هذا الطرف الذي يتبنى منهجية خاصة في الملاحظة والرصد لخاصيات الممارسة التنشيطية ينتمي الى المؤسسة ويقوم بأدوار فعلية فيها ويحظى بشرعية التواجد والعمل داخل المؤسسة ويعترف له بها المتواجدون بالمؤسسة. كما أن مجال فعله الجديد في إطار الملاحظة بالمشاركة لا يجب أن يخترق مجاله العملي المعهود لأنه سيؤثر على طبيعة مراكز العمل والتفاعلات الممكنة في إطار ذلك. وعليه فمن أهم صفاته أن يكون طرفا فاعلا في المؤسسة المدروسة ويحتل موقعا مؤثرا في شبكة العلاقات وله شرعية واقعية في المؤسسة في حدود الوظيفة التي يقوم بها. ويمكن أن يكون أحد الإطارات التربوية بالمؤسسة بشرط أن يتمتع بالكفاءة العلمية والمنهجية الكافية لمتطلبات البحث.

اعلامه بقدوم المتفقد وزيارته فإنه يعمل كثيرا على تغيير سلوكه المهني وترتيبه للواقع وصياغته المصطنعة للوثائق والمشاريع. . وعليه يصعب معرفة حيثيات الواقع الموضوعي ما قبل عملية الزيارة.

إن عنصر المشاركة عند الملاحظة قد تكون له نتائج متباينة وذلك تبعا لدرجة هذه المشاركة في حياة المجموعة فكلما كانت المشاركة لصيقة من حياة المجموعة إلا وكانت نتائجها مختلفة عما إذا كانت أكثر بعدا. كما أن هذه المسافة قد تغير من المسار الطبيعي للتمشيات الاعتيادية لنشاط المؤسسة وسير الفعل الثقافي والتربوي بها. ولذلك فإن تحديد مستوى المشاركة عند الإعداد لاستراتيجية البحث أو بروتوكولاته يعد منهجا مطلوبا لأنه يرسم نطاق المعلومات المتوفرة وحدودها مقارنة بحياة المجموعة. وعلى هذا المستوى توجد ثلاث مستويات من المشاركة وهي:

أ- الملاحظة بالمشاركة السطحية

ويغلب على هذه الدراسات الطابع السوسيولوجي حيث لا يسمح للملاحظ أن يكون في مركز الفعل داخل المؤسسة والمجموعات الشبابية لأنها تؤمن بمقولة أنه بجب أن يجد الباحث توازنا بين المشاركة في الميدان وبين القدرة على التحرر منه على خلفية أن بعض الإندماج فقط يمكن أن يؤدي الى ما هو مطلوب من البحث العلمي. ومن أمثلة بعض البحوث في هذا المنحى ما ورد في كتاب " جاك كوثر" بعنوان الملاحظة بالمشاركة والنظرية الاجتماعية " حيث قاب هذا الباحث في علم الاجتماع بتشخيص عبر الملاحظة الميدانية في مجموعة من المجالات ومنها نادي رياضي لتسلق جبال الآلب ومستشفى محليا. (Jacques Coenen-Huther,1995)

ب- الملاحظة بالمشاركة الفاعلة:

أي تحمل بعض المهام في المؤسسة التي تشكل مجال بحثه والقيام ببعض الأدوار في مجموعة الدراسة، وهذا الموقع يمكنه من رؤية التفاعلات الحقيقية في جميع المواقع. ويمكن للطلبة الذين يجرون تربصات أو بحوثا علمية حول هذه المؤسسات أن يقوموا بهذا الدور تحت اشراف من قبل باحث مشرف أو إشراف مزدوج بين العلمي والمهني.

ج- الملاحظة بالمشاركة الكلية:

السؤال المنهجي الذي يعترض هذا المستوى من المشاركة في الملاحظة هو: ألا يمكن لهذا الأخير أن يؤثر فعليا على مجرى الأحداث وأن يغير من الحركة الاعتيادية لحركية المجموعات ونشاط المؤسسة تبعا لاندفاع الملاحظ المشارك ورغبته في توجيه الواقع؟ وعلى ذلك فإن التحفظ على المشاركة الكلية يأتي من هذا الجانب. كما أن التساؤل يضل مطروحا في كل خطوة يقوم به الباحث الأنتروبولوجي بالنسبة خاصة للدراسات المونوغرافية وهو: كيف نتمكن من المشاركة دون أن نكون داخليين منتمين للمجموعة المدروسة؟

إن أهمية الدراسات المونوغرافية[8] لفائدة مؤسسات العمل الثقافي والتربوي بالوسط اللانظامي تعود أساسا إلى الكم الهائل من المعلومات التي يمكن أن تتأتى من مختلف أدوات جمع البيانات

[8] لمزيد التعرف بشكل مختصر على مختلف المناهج والاشكاليات ذات العلاقة بالبحوث الميدانية مثل خصوصية هذا المجال وتنوع أشكاله ومشكلات الملاحظة وتقنياتها وأنواع الملاحظين والقيمة العلمية للملاحظة الميدانية، يمكن العودة الى كتاب:

Madeleine Grawitz (1996), Méthodes des sciences sociales, Paris, Dalloz, p-p 697-722.

المعتمدة داخل هذا المنهج البحثي والتي يقع توظيفها إما لتمهيد اعتماد مشروع المؤسسة ورسم السياسات والبرامج وإما لتقييم إنجاز المشروع داخل المؤسسة وما يحدثه من تحولات لدى الفاعلين المعنيين بنشاط المؤسسة.

وقد طرحنا في متن هذا المقال مجموعة من المحاور الموضوعية التي يمكن اعادة ترتيبها لتدقيق الملاحظة واعداد الشبكات ذات العلاقة إضافة لمضمون المقابلات مع مختلف الفاعلين. وعملا على مزيد تعزيز هذه المعلومات بأخرى ذات طابع كمي، ونظرا لتعدد استعمال هذه التقنيات في إطار الدراسة المونوغرافية الواحدة، فقد عملنا على إنجاز استبيان للكشف عن واقع المؤسسة ومدى التجانس بين مكونات عناصره في إطار التمهيد لإثارة أهمية العمل بمشروع المؤسسة لدى الفاعلين بها وقدمنا نموذجا لاستبيان يتوجه للطرفين الرئيسين في الفعل مؤسسات العمل الثقافي والتربوي بالوسط اللانظامي وهما المنشط والمدير. ويتضمن كل استبيان مجموعة أسئلة تتكامل نتائجها الكمية مع التحليل الكيفي لنتائج عمليات الملاحظة بالمشاركة.

تشخيص العمل الثقافي والتربوي الاجتماعي بالمؤسسة (استبيان)

هذا الاستبيان هو تكملة ضرورية لتحصيل معطيات كمية إضافية لمشروع البحث المونوغرافي المعتمد على آليات الملاحظة بالمشاركة والمحادثات وقد وردت بعض تفاصيل مادة الملاحظة ومحاور أسئلة المحادثات في متن هذا المقال.

استبيان01

الرجاء تعمير هذه الجذاذة بكلّ دقة متناهية علما وأنّ جميع المعلومات المذكورة يجب أن يكون لها ما يدعمها بمختلف الوثائق التي يمسكها المنشط ومتوفرة بالإدارة ومحفوظة لديها.

الاسم: .....

تشخيص العمل الثقافي والتربوي الاجتماعي

اللقب: ..... **السنة ..... / .....**

المؤسسة: ..... **خاص بالمنشط**

المعتمدية: .....

الولاية: .....

1) قدّم توزيعا لعدد **المستفيدين** والمنخرطين من الأنشطة التي تمارسها حسب كلّ نشاط:

النشاط (1)	الشهر	جانفي	فيفري	مارس	أفريل	ماي	جوان	جويلية	أوت	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
.....	عدد المستفيدين												
	عدد المنخرطين												

كيف تقيم هذا التفاوت؟

.....

النشاط (2)	الشهر	جانفي	فيفري	مارس	أفريل	ماي	جوان	جويلية	أوت	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
.....	عدد المستفيدين												
	عدد المنخرطين												

كيف تقيم هذا التفاوت؟

.....

النشاط (3)	الشهر	جانفي	فيفري	مارس	أفريل	ماي	جوان	جويلية	أوت	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
.....	عدد المستفيدين												
	عدد المنخرطين												

كيف تقيم هذا التفاوت؟

.....

1) ماهي **الأهداف السلوكية** (يمكن ملاحظتها) التي تحققت لدى المنخرطين والمستفيدين خلال السنة التربوية؟ أذكرها حسب كلّ نشاط تمارسه بالمؤسسة مع **نسبة انجاز** النشاط من البرنامج العام؟

النشاط	نشاط (1)	نشاط (2)	نشاط (3)
الأهداف التي تحققت			
نسبة الانجاز			
العدد الجملي للمنخرطين			
العدد الجملي للمستفيدين			

3) ما هي **الصعوبات** التي تعتقد أنّها حالت دون التقدم أكثر في نسبة الانجاز رتبها حسب الأهمية؟

1) .....
2) .....
3) .....

2) ماهي أهمّ **القضايا الثقافية والتربوية** التي برزت بالمؤسسة وما هي **التمشيات** التي اعتمدتها لمتابعتها ومعالجتها؟

القضايا الثقافية والتربوية	التمشيات: داخل نشاط النادي	مع الاطار	مع إدارة	مع الأولياء	مع

		الداخلي	المؤسسة		المحيط الخارجي

3) هل توجد سلوكات مميزة للفئات التي تتعامل معها أثناء النشاط؟ وما هي المقاربات التي اعتمدتها لفهمها والتفاعل معها؟

السلوكات	المقاربات المعتمدة للفهم والتدخل

4) هل قمت **بمشروع** خارج إطار النشاط الاعتيادي للنادي طيلة السنة؟

ع/ر	عنوان المشروع	موضوعه/ فقراته	تاريخ الانجاز	التكلفة المادية	الأطراف المعنية
1					
2					
3					

5) خلال نشاطك طيلة السنة، ما هي نوعية **الاستفادة العملية** التي حصلت عليها من الأطراف التالية؟

الأطراف	محتوى الإستفادة
ـ زملائك من الاطارات العاملة في المؤسسة	
ـ من إدارة المؤسسة	
من المؤسسات الثقافية المجاورة	
ـ من المؤسسات التربوية المجاورة	
ـ من وسائل الاعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة	
ـ من المنظمات والجمعيات	
ـ من الادارات الجهوية (الصحة ، التشغيل...)	
ـ من المؤسسات الإقتصادية	
أطراف أخرى قدمت استفادة مهمة:	

مع خالص الشكر والود (تقييم المنشط)

تشخيص العمل الثقافي والتربوي الاجتماعي بالمؤسسة

(استبيان02)

الرجاء تعمير هذه الجذاذة بكلّ دقة متناهية علما وأنّ جميع المعلومات المذكورة يجب أن يكون لها ما يدعمها بمختلف الوثائق المتوفرة بالإدارة ومحفوظة لديها.

الاسم: .....

تشخيص العمل الثقافي والتربوي الاجتماعي

اللقب: ..... السنة ..... / .....

المؤسسة: ..... خاص بمدير المؤسسة

المعتمدية: .....

الولاية: .....

1) معطيات رقمية: اذكر العدد الجملي **للمنخرطين** والمستفيدين من كافة الخدمات بالمؤسسة للسنة المذكورة أعلاه (الرجاء اعتماد الواقعية)

الجنس		المستوى التعليمي				الوضعية الاجتماعية والاقتصادية		
ذكر	أنثى	أمي	أساسي	ثانوي	عالي	عامل	يدرس	يعمل

الشهر	جانفي	فيفري	مارس	أفريل	ماي	جوان	جويلية	أوت	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
عدد المنخرطين												
عدد المستفيدين												

2) ما هي **الأهداف** التي ضبطتها المؤسسة طيلة السنة الحالية وما هي نسبة الانجاز أو **التحقق**؟
وما هي **المسالك** الأساسية التي اعتمدتها لتحقيق كل منها؟

الأهداف	نسبة التحقق	المسالك التي اعتمدتها لتحقيقها (كيف تحققت؟)

3) هل أنجزت **مشاريع** دون المشاريع التي تبناها المنشطون ؟(عدم ذكر مشاريع المنشطين)

ع/ر	عنوان المشروع	فقراته	تاريخ	التكلفة المادية	الأطراف

		الأساسية	الانجاز		المعنية
1					
2					
3					

4) - بالعودة إلى الوثائق الموجودة بالمؤسسة والمحفوظة لديكم، كم **اجتماعا** تمّ خلال هذه السنة التربوية مع إطارات التسيير والتنشيط وتمّ تدوينه بالسجلات الإدارية ؟ (ضرورة التقيد بما هو موجود بكراس محاضر جلسات).

العدد	التاريخ	المواضيع الرئيسية	العدد	التاريخ	المواضيع الرئيسية

5)- ما هي أهمّ **القضايا الثقافية والتربوية الاجتماعية** التي برزت بالمؤسسة حسب رأيك وما هي **التمشيات** التي اعتمدتها لمتابعتها ومعالجتها؟

القضايا	التمشيات

6)- ما هي **الاستفادة العملية** من الأطراف التالية التي تحققت للمؤسسة وساهمت بالتالي في تحقيق أهداف المؤسسة:

الاطراف	توعية الاستفادة العملية
الاطار التنشيطي القار	
الاطار التنشيطي المتعاقد	
الاطار العمالي	
السلط الادارية	
السلط السياسية	
المؤسسات التربوية	
المؤسسات الثقافية	

المنظمات والجمعيات	
مؤسسات الاعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة	
المؤسسات الاقتصادية	
الادارات الجهوية	
جمعية أحباء المؤسسة	
أطرافا أخرى قدمت لكم استفادة مهمة:	

مع خالص المودة (تقييم مدير المؤسسة)

يتوزع تشخيص المؤسسة بالاعتماد على الدراسة المونوغرافية من خلال هذا الاستبيان على:

1- معطيات رقمية تخص المنخرطين ورواد هذه المؤسسة والمستفيدين من خدماتها بحسب الأنشطة والمشاريع ومهما كانت تقاليد المؤسسة في توفير هذه المعطيات فإن تثبيت هذا العدد يعد مؤشرا أساسيا لمعرفة علاقتها بالمجتمع وأصناف الفئات الاجتماعية (توزيع حسب الجنس والسن والمستوى التعليمي والصنف الاجتماعي والاقتصادي...) التي ترتاد المؤسسة وتقبل على أنشطتها وتتفاعل معها وتؤثر فيها كما تتأثر بها.

كما أن رصد هذا العدد وفق التطور الزمني خلال سنة كاملة يضعنا أمام المشهد الحقيقي من الممارسة الثقافية بالمؤسسة وصور تحققها عبر الزمن. ويتعزز الفهم للتفاوت الملحوظ بين الفترات الزمنية من خلال ما يوفره المستجوبون الفاعلون بالمؤسسة (ومن بينهم المدير والمنشط) من تفسير للأسباب والعوامل المتدخلة فيها. ومن المهم أن يتفق المشتغلون في المهنة على كيفية اعتماد الأرقام الخاصة بالجمهور. هل هو ضروري؟ متى يتم الالتجاء اليه؟ هل هو المؤشر الوحيد في التقييم؟ هل الفائدة في الكم أم في الكيف أم في الإثنين معا؟ كيف نضبط الكيف كميا[9]؟ كيف يكون العدد صادقا ينطبق بدقة على معطيات الواقع من الممارسة؟

[9] الكم والكيف في تقييم العمل الثقافي ومختلف الممارسات الثقافية ذات العلاقة عمليتان متلازمتان لدى أغلب المهتمين بالمشهد الثقافي وقد ظهر هذا التلازم في بعض التعريفات لمسألة التقييم حيث يشمل نظامين أحدهما يركز على التقدير الكمي والثاني يختص بالتقدير الكيفي وينطبق على:
قيمة قطعة فنية أو نشاط أو برنامج أو مشروع، قيمة اقتراح وفعاليته، أهمية المشروع في محيط ما، بالنسبة لجمهور، قبول الجمهور لمحتوى فني أو ثقافي، الملاءمة بين المشروع والمقبولية، تجربة الزوار/ المتفرجين. المستفيدين، معرفة الجمهور، تحليل الحضور، تحليل السلوكيات والمواقف، التأثير والأثر للمشروع، النشاط...
Action Culturelle (2021), Engager un processus d'évaluation des actions culturelles conduites en direction de ses publics, https://www.weka.fr/action-sociale/dossier-pratique/action-culturelle-dt20/engager-un-processus-d-evaluation-des-actions-culturelles-conduites-en-direction-de-ses-publics-0782/

2- معطيات تقديرات المسؤولين بالمؤسسة حول ما تحقق بالفعل والمنجز الحقيقي والوعي بالقضايا المطروحة والظواهر المحيطة بالمؤسسة وسبل التعاطي معها مع الداخل والخارج. وتقدير المسؤول عن المنجز يجب أن يعتمد على أوعية مخصصة للمتابعة الحينية للأثر ومؤشرات واضحة الدلالة ومتفق حولها لتثبيت المعطى من الممارسة والابتعاد عن الآراء والمواقف الانطباعية والذاتية قدر الإمكان واستعمال المصطلحات كثيرة التعميم والحاملة للمعاني المتداخلة.

3- معطيات تخص البرمجة والتخطيط للأنشطة والمشاريع والقدرة على إدارة التواصل الداخلي والخارجي في إطار تشبيك العلاقات المهنية وربط المؤسسة بمحيطها.

ومما لا شك فيه أن المعطيات التي يوفره مدير المؤسسة والمنشط هي على قدر كبير من الأهمية إلا أنها تبقى في حاجة الى مصادر أخرى أشرنا اليها في متن هذا المقال تتكامل فيما بينها وتساعدنا أكثر ما يمكن على الاقتراب من الموضوعية المنشودة.

وفي الختام يمكن القول إن الدراسة المونوغرافية للمؤسسة هي تشخيص متعدد المداخل المنهجية تستعمل فيها أدوات مختلفة لجمع البيانات وتصوير الممارسة في أدق خصائصها ومن قبل جميع الفاعلين بالداخل والخارج حتى تتوفر مدونة متكاملة من الممارسة الثقافية والتربوية يمكن القيام على إثرها بالتحليل العلمي المطلوب لاستخراج القواعد العامة المنظمة للممارسة ومساءلتها في ضوء ما توفر من معرفة ومنهج بهدف الاستفادة منها بحثا وتصرفا وإدارة في الآني والمتوسط والاستراتيجي.

قائمة المراجع:

Action Culturelle (2021), Engager un processus d'évaluation des actions culturelles conduites en direction de ses publics, https://www.weka.fr/action-sociale/dossier-pratique/action-culturelle-dt20/engager-un-processus-d-evaluation-des-actions-culturelles-conduites-en-direction-de-ses-publics-0782/

Bouhdiba Abdelwahab (1977), L'Imaginaire Maghrébin : Etude de dix contes pour enfants, Tunis, Maison tunisienne de l'édition, Tunis.

Coenen-Huther Jacques (1995), Observation participante et théorie sociologique, Paris : L'Harmattan, collection Logiques sociales.

Grawitz Madeleine (1996), Méthodes des sciences sociales, Paris, Dalloz.

Kaufmann Jean Claude (1996), L'Entretien Compréhensif, Nathan Université.

LEVI-STRAUSS Claude (1958,1974), Ethnographie, ethnologie, anthropologie,

Anthropologie structurale, Plon, pp. 411-413.

Perrot de Anne-Catherine et Wodiunig Tina, Jakob Schmid…,Traduction Michel Schnarenberger,(2008), L'évaluation dans la culture :Pourquoi et comment évaluer? Un guide pour l'évaluation de projets, de programmes, de stratégies et d'institutions culturels Zurich : Fondation suisse pour la culture Pro Helvetia, Hirschengraben.

Tabani, Marc Kurt (2001), Quand l'ethnologue quitte le terrain : Anthropologie et bibliothèques, Ethnologies comparées : N°2 Printemps 2001 Miroirs identitaires.

Unesco, Institut de statistique, (2009), Mesure de la contribution économique des industries culturelles Examen et évaluation des approches méthodologiques actuelles : Manuel n°1 du cadre de l'Unesco pour les statistiques culturelles, Succursale Centre-Ville Montréal, Québec, Canada.

Visscher De Christian et Petit Laurent (2002), L'audit interne dans l'administration publique : un état des lieux dans les ministères fédéraux, Pyramides, 5, pp. 73-100.

الخضراوي محمد الحبيب (2016)، كفايات التنشيط بين مؤسسة التكوين ومؤسسة التشغيل، مهن

التنشيط والوساطة والتحولات الاجتماعية، تونس، المعهد العالي للتنشيط الشبابي والثقافي، ص-ص 9-27، (سلسلة علوم ثقافية العدد4).
رجب عبد الستار(تقديم وجمع وتنسيق علمي)، (2000)، مؤسسة التنشيط التربوي الاجتماعي: التمثلات الاجتماعية، تونس: المعهد العالي للتنشيط الشبابي والثقافي ببئر الباي، مجموعة البحوث والدراسات حول التنشيط، (سلسلة علوم ثقافية، العدد 2).
اليونسكو (2003)، اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي.